الشباب العربي الحالم!

هناء أحمد محمد محميد(*)

إن الشباب العربي، بوصفه منتجاً، قلّما يجد الفرصة متاحة أمامه ليعبر عن تجاربه وما يعتمل في نفسه من رؤى سرية مختلفة تحاكي الواقع الذي يعيشه، وأنا ـ مثلاً ـ في البداية كنت متحمسة ومندفعة لبيان آرائي الخاصة ومتطلعة لفتح آفاق جديدة تحتويني، لكن سرعان ما صادفتني سيطرة آراء أوصلتني إلى شعور مؤدّاه أن ما أتطلع إليه سيرتطم حتماً بسياج الأنظمة العرفية والدينية والسياسية، الأمر الذي قد يدفعني إلى الانغلاق على نفسي وإخماد تلك الثورة الإبداعية التي تعتمل في أفكاري ونظرتي إزاء الظروف المحيطة بي.

فعندما بدأت أكتب ـ ومنذ المرحلة المتوسطة ـ لم يكن هناك من يشجعني، إلا بعد دخولي الجامعة واختياري لقسم اللغة العربية ـ القسم الذي تفوقت فيه ـ من هناك بدأت. نعم فقد حرص على تشجيعي بعض أساتذتي الذين اكتووا بنار الإبداع ونظرة المجتمع المتربصة بخطاهم، فأخذت أكتب في مجالات (قصيدة النثر والقصة القصيرة والخاطرة) وأفوز سنوياً في مسابقات الفنون الإبداعية التي تقيمها جامعة الموصل، كما شاركت في أحد المواسم الثقافية التي يقيمها قسمنا.

(١) طالبة في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل العراق.

وهكذا تتالت الأيام وأحسست بنضج تجربتي الأدبية الإبداعية، لكني حينها وجدت نفسي أمام واقع شائك، واقع مملوء بالتناقضات، فكثير من المعنيين، أو ممن جعلوا أنفسهم معنيين بالاتجاه الأدبي، أوضحوا لي ـ غير مرة ـ أن هناك ضوابط وخطوطاً حمراء لا يمكن تجاوزها أو مداعبتها، مبررين ذلك بخوفهم عليّ، كوني(امرأة) وكون أوضاع البلد صعبة، وهذه النشاطات مترفة، حسب وجهة نظرهم! حتى وصلت الأمور إلى أمري بتحوير كل كلمة (أنتَ) للمخاطب إلى(أنتِ) للمخاطبة!! ونظرة هؤلاء لم تختلف كثيراً عن رأي أهلي والمحيطين بي ـ الذين تقاسمتهم أسلاك هذا الواقع الشائكة ـ الذين وصفوني بأني حالمة وعليّ تقبل الأمر الواقع!

أحياناً، أشعر بأني سأصدّق ذلك، لأنني أرى بعض المبدعين– وخاصة المبدعات ـ في مجتمعنا قد انزووا ومنذ وقت مع طاولة الوظيفة، وربما أصبح اهتمامهم الأدبي مجرد صور وذكريات. كما أرى أن أغلبهم عدّوا أنفسهم طبقة حاكمة ثقافياً لا نراها إلا في ندوة أو حلقة نقاشية خاصة بهم من أجل تثبيت سلطتهم، مع إصغائهم التام إلى تصفيقنا، وعلى هامش الجلسة يلتقطون صوراً تذكارية ومعلبات التقدير السامية بأعرض ابتسامة! لذلك أرى الكثير من الشباب المبدع قلقاً ـ بغض النظر عن مصدر قلقه ـ من كونه مبدعاً، وهذا يؤدي إلى إخماد نفس الإبداع، وبذلك نخسر ناساً ربما كانوا سيسهمون في البناء الذي سيسعى إليه الجيل المنتج القادم. أخيراً...ربما فكرت كثيراً في أنياب من يتربص بخطى الإبداع، لكنني لن أستطيع أن أزيّف خطى أنفاسي، وسأدع لأناملي ما تشتهيه، على أن يكون تناولها صادقاً غير مضرّ بصحة الإبداع.. وإلا سأدخل في صراع مع أنفاسي وأعماقي وعقلي، وبالطبع سأتقن الفشل في هذه الحرب....والنتيجة؟